"... ومن هنا يتحدد الشعار المرحلي ويتحدد فهمنا لهذا الشعار وهو اقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على أي جزء يتم تحريره من الأراضي الفلسطينية دون قيد او شرط"، والهدف الاستراتيجي بالنسبة للجبهة الشعبية يتطلب حلا جذريا للقضية الوطنية الفلسطينية وذلك عبر خوض نضال صعب طويل ومعقد يقف الشعب الفلسطيني كمطالب للحرية وتشاركه الجبهة في الرأي والنضال.... والجماهير العربية بقواها الطلائعية بهدف إلحاق الهزيمة بالصهاينة والتوسع الاستيطاني.

ولهذا جاءت فكرة قواعد الارتكاز الوطنية التقدمية على الأراضي العربية المحيطة بفلسطين (كما أشار لذلك القسم الرابع من المؤتمر الرابع) على الاقل... الا ان هذه الموضوعية قد تراجعت في إطارها العملي خاصة بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينية عام 1987م، حيث أعيد التركيز على ساحات الأراضي المحتلة والفعل الجماهيري فيها، وكان هذا بعد الخروج الفلسطيني من لبنان عام 1982م، وفي ظل صعوبة تكرار التجربة واستنهاض الجماهير العربية في المدى المنظور عربيا وفلسطينيا، ولبرفع بالمقابل نائب الامين العام للجبهة شعار" ان الانتفاضة جعلت امكانيات الدولة الفلسطينية اكثر واقعية " وذلك في المقابل خصوصا أن هدف الجبهة تحرير كامل التراب والإنسان، نشرت بيانا عام 1989م ويظهر من ذلك البيان أن الصعوبات التي تواجهها من الوضع العربي العام المحيط بها، وظهور الانتفاضة كفعل متقدم قد اسقط استراتيجيات العمل بشكل عشوائي وقام في المقابل استراتيجيات عمل ارتجالية سرعان ما تبددت مع حال الانتفاضة.

الإطار العام لعلاقاتها التحالفية:

شكلت الجبهة الشعبية ومنذ سنوات تأسيسها الاولى احد الاركان الأساسية في إطار العلاقات التحالفية في المنظمة على الرغم من وجود مجموعة من الاراء والأفكار التي شكلت اختلاف في المضمون والجوهر بين الجبهة وفتح عام 1969م، وحتى بعد ذلك على مدار سنوات وجود الجبهة في اطار المنظمة حيث شابت العلاقات بين القيادتين الكثير من الخلافات التي أدت في بعض الاحيان الى وقوع بعض الصدامات العنيفة سواء في الارض المحتلة أو خارجها، وذلك في بعض مراحل الصراع الوطني الفلسطيني الإسرائيلي، مع العلم ان الجبهة قد بقيت عضواً ومؤسسا للمنظمة المعروفة الان، وذلك منذ عام 1969م، على الرغم من خروج الجبهة في اكثر من محطة من عضوية اللجنة التنفيذية ومقاطعتها لأعمال بعض المجالس الوطنية، فقد بقيت تعتبر " م. ت . ف " ممثلاً شرعيا ووحيداً للشعب الفلسطيني في كافة اماكن تواجده وذلك على عكس بعض التنظيمات الفلسطينية التي شككت في قدرة المنظمة في الوصول إلى الأهداف التحررية. وبالتالي لم تعترف بالمنظمة وتمثيلها، اما الوثيقة السياسية للجبهة الصادرة عن المؤتمر الوطني الخامس فتشير الى المنظمة باعتبارها " الكيان الأساسي المعنوي الذي اراده الشعب الفلسطيني والاطار الذي يجسد هويته الوطنية وشخصيته المستقلة، وهي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده "، فهذا الايمان بالنسبة للجبهة لم يكن ايمانا اعمى، بقدر ما كان دعوة ونضال دائم لترسيخ اسس وعلاقات ديمقراطية بين كافة القوى المؤتلفة في داخل اطار المنظمة، حيث ناضلت لاحداث اصلاح ديمقراطي حقيقي في مؤسسات المنظمة واجهزتها المختلفة، وذلك عبر محاولتها تثبيت موضوعية التمثيل النسبي للفصائل لوضع أسس تحالفية لترسيخ الديمقراطية وللتخلص من الاستبداد التي مارسته منظمة التحرير بجميع الأشكال والأساليب البيروقراطية الادارية الفوقية لقيادة المنظمة ولإنهاء نفس الهيمنة والتفرد والعصبية التنظيمية" أي انها حاولت خلق اطار اوسع من الفعل الديمقراطي الداخلي ان يلتزم الجميع بمبدأ العمل المشترك والجماعي الديمقراطي. كما تشير لذلك العديد من الوثائق الخاصة بالجبهة (محطات اساسية شعبية ديمقراطية، وثيقة الإصلاح المقدمة من التحالف الديمقراطي للجبهة شعبية، ديمقراطية، حزب شيوعي عام 1985م) الا ان هذه الوثائق لم تجد لها آذان صاغية من قبل قيادة " م . ت . ف " او آليات فعل مؤثرة من قبل اصحابها.

وفي المقابل بقي برنامج المنظمة برنامج الحد الادنى المقولب وطنيا بالنسبة للجبهة التي حاولت الحفاظ عليه على الرغم من اخفاقها في ذلك، الا إن برنامج فتح واملاءات عرفات كانت بمثابة الخط الوطني للقاء. اما فيما يتعلق بالجوانب التحالفية الاخرى، خاصة مع قوى اليسار فان الموضوع كما أشار د.حبش "موضوع استراتيجي وهام كان وما زال مطروحا بقوة على القوى اليسارية والديمقراطية في الساحة الفلسطينية " فرغبة حبش المفعمة بالصدق هذه لم تكن لتتحقق حتى بادنى إشكالها التحالفية وان ظهرت هنا او هناك بعض من اوجه التقارب المؤقت بين بعض قوى اليسار الفلسطيني كتجربة التحالف الديمقراطي على سبيل المثال التي لم تدم طويلاً (شعبية، ديمقراطية، حزب الشيوعي) او تجربة القيادة المشتركة الاولى بين الجبهة الشعبية والديمقراطية التي لم تدم الا لاسابيع معدودة.

وقد بقي الاطار التحالفي اليساري دون المستوى المطلوب، وطنيا وطبقيا وايديولوجيا، كيف لا وكل فصيل من فصائل اليسار كان يعتبر نفسه ممثل الطبقة العاملة والاكثر جذرية في تبني المفاهيم والاطر الماركسية في الفعل والتنظيم والاداء، وفي المحصلة بقي شعار وحدة " القوى اليسارية " حلما يراود الكثيرون دون جدوى من تحقيقه ، مع العلم ان فرص هذا التحقيق اصبحت ماثلة للعيان أكثر بعد اتفاق غزة واريحا، ومتطلبات المرحلة بكل ابعادها، لكن يبدوا للعيان ان الوحدة تلك لن تكتب لها النجاح الا بعد سقوط الكثير من الرموز والقيادات، وتغير المفاهيم القديمة التي اصبحت القائمة النضالية اقل بكثير من متطلبات واستحقاقات المرحلة الجديدة.

اما عن امكانيات التحالف مع القوى الاسلامية فقد عبر د.حبش عن ذلك بوضوح حين اشار " بالنسبة لآفاق التعاون فإنها تستند الى موقفنا المشترك من المشروع الامريكي المطروح لتصفية القضية الفلسطينية والذي اتخذ في هذه المرحلة شكل الحكم الاداري الذاتي"... و يؤكد د.حبش في موقع اخر " ان الديمقراطية قضية مهمة جداً هنا في موضوع التحالف مع القوى الاسلامية او غيرها. فايمان كافة الاطراف بالديمقراطية وممارستها وقبول الاحتكام لارادة الشعب واعتبار رأي الشعب هو المرجع والحكم فمثلاً " انا اوافق على قيادة حماس اذا كانت هذه هي ارادة الجماهير واذا تجلت من خلال انتخابات حرة ديمقراطية شرط أن توافق حماس على المبدأ نفسه ،بمعنى كانت ارادة الجماهير لمصلحة الجبهة الشعبية او حزب الشعب او فتح". وتجدر الاشارة هنا الى ان التوقيع على اعلان المبادئ الفلسطيني الاسرائيلي قد دفع الجبهة الى مقاطعة مؤسسات المنظمة المختلفة وقد بين ذلك خلال الفترة المنصرمة حين قاطعت الجبهة اعمال اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية، في حين دعت إلى المحافظة على المنظمة كممثل شرعي للشعب الفلسطيني لكونها انجازاً تحول إلى ملك وحق عام للشعب الفلسطيني بأسره وليس لتنظيم محدد الامر الذي ميزها عن بعض الفصائل المؤيدة لدمشق او لغيرها من العواصم العربية او الحركات الاسلامية على اختلافها.

وفي أجواء إعلان المبادئ وتوقيع الاتفاق الفلسطيني الاسرائيلي دخلت الجبهة في اطار تحالفي جديد سميت بالفصائل العشرة التي شملت اطرافاً لم يسبق لها ان كانت في المنظمة كالجهاد الاسلامي وحماس او قوى قاطعت المنظمة منذ مدة طويلة كالقيادة العامة والصاعقة وهي جميعاً سعت لخلق اطار فعل وطني لكنها تختلف في وجهات النظر فيما بينها في العديد من القضايا والتي من ابرزها الموقف من المنظمة وطبيعة الصراع وشكل الدولة الفلسطينية ومضمونها.

دور الجبهة الكفاحية:

تعد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، من الفصائل والقوى الاكثر تميزاً، في عملها الكفاحي، خاصة تلك المرحلة التي تولى امر النشاط المسلح فيها د. الشهيد وديع حداد، حيث أرعب هذا الاسم الكيان الصهيوني، كما أرعب دوائر العمل الامبريالية المختلفة، وانصارهم من عرب الهزيمة، لقد شكلت الجبهة الشعبية على مدار سنوات انطلاقتها الاولى حالة كفاحية مميزة حقاً سواءً داخل الاراضي الفلسطينية المحتلة او خارجها.

* داخل الأرض المحتلة / نبذة سريعة:

لقد عملت المجموعات الاولى للجبهة الى ملاحقة العدو الصهيوني بكل قسوة كفاحية وثورية ممكنة، فكانت العمليات البطولية التي قادها جيفارا غزة، في القطاع عام 1967-1973م، فكان القطاع بالكامل تحت السيطرة ابطال الجبهة وعملياتهم البطولية، اعترف قادة الصهاينة بذلك حين أشاروا أن القطاع لنا نهاراً وللجبهة الشعبية ليلاً، وبقي الامر على ذلك الحال حتى استشهاد جيفارا غزة في 1973/3/7م، وقام المجرم شارون بعمليات جرف واسعة في القطاع شملت البيوت والمبارات وكل شيء يعيق تقدم الدبابات والاليات الثقيلة، لقد شكلت جملة العوامل في محاصرة هذا الشكل التظاهري الكفاحي في القطاع...

1. الحصار الشديد على القطاع.
2. القمع الشديد وعدم تزويد المقاتلين بالامدادات الازمة.
3. تواطؤ البعض في القطاع ضد هذه الظاهرة حيث اعتبرها البعض المتشدد دينيا خطر على مشروعهم، والبعض الاخر المتنفذ في قياد " م. ت. ف " خطراً على توصياتهم ومكانتهم السياسية.
4. عدم قدرة الجبهة الشعبية على امداد المناضلين بكل ما يلزمهم.